صلات العراق الثقافية مع بلاد الشام ٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م

م.د. عباس كريم عبد

أ.د. فراس سليم حيوي

كلية التربية الاساسية - جامعة بابل

المقدمة

لعب أهل العراق دورا كبيرا في الحضارة الإنسانية، وكان لهم دور أساسي وبارز في الحضارة العربية الإسلامية سواء كان في المشرق أو في المغرب، وكانت لهم القيادة والرأي لكثير من العلوم، وساعدهم على ذلك الجو العام الذي تعيشه الدولة العربية ومقرها بغداد، ألا إن الغزو المغولي كان حدا فاصلا في تاريخ العراق الحضاري، فقد ترك نتائج سلبية جسيمة على حياة العراقيين فدخل على أثرها العراق حالة من الركود والخمول والتردي الحضاري لتوالي العدوان وتراكم الظلم والاستغلال. شهدت فترة الغزو وما قبلها ازدياد وتوافد أهل العراق إلى بلاد الشام أفرادا وجماعات وشملت ذلك كل فئات المجتمع وكان لهم دورهم بفضل جهودهم وإسهاماتهم العلمية الواضحة، فوضعوا آثارهم الحية وعلى عدد من ميادين الحياة، كما خدموا أهل البلاد التي حلوا بها بعلمهم وخبراتهم، ونقلوا خلالها الكثير من خبرات العراق وعلومه ونظمه وفنونه وصناعاته، فنشطت بحضورهم قاعات الدرس وازدحمت على خطبهم الجوامع وبيوت العبادة وكثرت حولهم وعلى زواياهم وربطهم المرتادون وطلاب العلم، وما زالت شواهد حضورهم وأفعالهم وإسهاماتهم تتمثل في كثير من المصنفات العلمية في مختلف علوم المعرفة وفي آثارهم العمرانية الشاخصة المتمثلة بالمساجد والمدارس والزوايا في مدينة دمشق وغيرها من المدن الشامية ولا بد من الإشارة إن أهل العراق من ولد ونشا ودرس في العراق ثم هاجر إلى بلاد الشام.

اختص البحث في الصلات الثقافية مع بلاد الشام خلال العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ) وقد تناول الأسباب التي أدت إلى هجرة العراقيين إلى بلاد الشام، وكذلك تناولنا مناطق الهجرة وأماكن الاستقرار، ثم تطرقنا إلى مشاركة أبرز علماء العراق في التدريس وبناء المدارس.

اعتمدنا على مجموعة من المصادر المهمة، وتتقدم تلك المصادر كتب التراجم التي زودتنا بمعلومات وافية عن الشخصيات المترجم لها، إلى جانب المادة التاريخية التي رافقت التراجم، ومن تلك الكتب كتاب (تالي وفيات الأعيان) للفضل الصقاعي (٧٢٦هـ)، الذي زودنا بمعلومات تاريخية كثيرة إلى جانب ترجمته لعدد من علماء أهل العراق والذي يعطينا مؤشرا واضحا عن إثرهم الكبير في ميادين العلوم في بلاد الشام وغيرها من مدن العالم الإسلامي، كما قدم اليونيني (ت ٧٢٦هـ) في كتابه (ذيل مرآة الزمان) مادة مفصلة عن علماء أهل العراق إضافة إلى ما قدمه من مادة تاريخية متعلقة بموضوع البحث، كما لا ننسى أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) في كتابه (الذيل على الروضتين) الذي دعم البحث بمعلومات مهمة عن الموضوع إلى جانب ترجمته لشخصيات عراقية تركت آثارها في الوسط الشامي، وكذلك الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، في عدد من الكتب منها كتاب (العبر) وكتاب (سير إلام النبلاء) وكذلك كتاب (دول الإسلام)، إلى جانب كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ) وكتاب عيون التواريخ للكتبي (ت ٧٦٤هـ) وكتاب (البداية والنهاية) لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، كما كان للمقريزي (ت ٨٤٢هـ) في كتابه (السلوك) وكذلك كتاب (المواعظ والاعتبار) والتي تميزت بغزارة مادتها العلمية في حين كان لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) في كتابه (الدرر الكامنة) الذي ترجم لعلماء القرن الثامن الهجري، وأخيرا فان لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) أهمية واضحة في صفحات البحث من خلال كتابه الكبير (شذرات الذهب) الذي زودنا بمادة وافية عن التراجم من ناحية وبالمادة التاريخية من ناحية أخرى إلى جانب كتب أخرى يطول الحديث عنها.

- أسباب هجرة أهل العراق إلى بلاد الشام :

كان لأهل العراق في بلاد الشام دور واضح في المشاركة والتفاعل في بناء الحضارة العربية الإسلامية وذلك من خلال حرية الحركة والتنقل والاستقرار في المدن الإسلامية المختلفة ومنها مدن بلاد الشام. وقد استمرت تلك المشاركة خلال مراحلهم التاريخية وكذلك المدة التي نحن بصددنا، وبرغم ما خلف الغزو المغولي للعراق من دمار واحتلال فإنه زاد من ارتباط أهل العراق بأهل الشام في مختلف الأصعدة، حيث تولد دافع مهم هو الانتقال والبحث عن موطن آمن من ظلم واضطهاد وتسلط المغول، وساعد على ذلك طول المدة التي استغرقها المغول للوصول إلى العراق^(١)، والتي استمرت عقدين من

١ - ابن الأثير، عز الدين محمد بن عبد الكريم (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ج ١/ص ٣٧٨.

Contu,C,Histoire Universelle Traduite pareu Gene Aroux, Troisiem on zleme_Douzieme, paris,p.٣٢١.

الزمان^(١)، حيث بدأت تلك الهجرة في زمن العباسيين وازدادت بعد عام ٦٤٧هـ^(٢)، فرارا من قبضة المغول وفي هذا يذكر المقرئزي بأنهم (تمزقوا في الأقطار)^(٣)، ويبدو أن خروج أهل العراق من بلادهم قبل وصول المغول وحتى بعد حدوث الغزو كان للأسباب التالية :-

- ١- هاجر أهل العراق قبل وصول الغزو المغولي للبحث على العون للتصدي للمغول بعد وصول أخبارهم وأفاعيل أصحابهم وما خلفوه من دمار وتسلط، وقد ترجم هذا على ارض الواقع بعدة محاولات منها محاولة المستنصر بالله^(٤) في منطقة الأنبار^(٥) فاستشهد عام ٦٥٩هـ / ١٢٦١م مع كثير ممن كان معه من المقاتلين^(٦)، ويبدو أن هذه المحاولة جاءت بعد نصر المماليك في معركة عين جالوت حيث أعطت لهم العزم على إسقاط أسطورة الدولة التي لا تهزم، وعلى أثر استشهاد الخليفة المستنصر وفد (شيوخ عبادة وخفاجة من هيت والأنبار إلى الحلة والكوفة)^(٧) وذكروا أنهم يقومون بغاراتهم على التتار فأحسن لهم وجههم (بالخلع إلى أهل العراق .. وألبس عدة من أمراء خفاجة الفتوة)^(٨) وسير معهم الكتب إلى عز الدين أيديم الأتابكي وكان متأخرا في العراق يأمره بالتوجه واصطحب أمراء العربان صحبته^(٩)، وكذلك محاولة الصالح بن بدر الدين لؤلؤ^(١٠) الذي عاد إلى الموصل بعد رحيله عن العراق فاستشهد مع كثير من أهل الموصل بعد حركته على المغول عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م^(١١).
- ٢- انتشار البطالة بين فئات المتعلمين بسبب الأضرار التي لحقت بالمؤسسات العلمية فقد أحرقت المكتبات وقضي على الآثار الإسلامية التي أبدع الفنانون المسلمون في عملها كل هذا التراث المجيد قد أصبح في التراب^(١٢).
- ٣- تردي الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية طيلة عهد السيطرة المغولية أدى إلى هجرة الكثير من أهل العراق إلى الشام في ظل الأضرار التي لحقت بالاقتصاد والاستغلال الذي اتسمت به السياسة المغولية وكثرة متطلبات الجيوش الغازية التي أرهقت أهل البلاد، فعندما قتل المغول شرف الدين^(١٣) سلام عسا (قومه على الكفار وهاجر بعضهم إلى مصر والشام)^(١٤).

- ١- كان الانتقال بمثابة التخلص من القتل والعدوان، كما كان استجدادا بالإخوة الشاميين والالتجاء إليهم لإشعارهم بالخطر الذي يتوجب التصدي له، ومحاولة جمع الصفوف، حتى صارت فكرة الجلاء إحدى الحلول لتلافي ملاقاتهم عند الأمراء المماليك، بعد ان استبعدوا فكرة مصالحة المغول، المقرئزي، احمد بن علي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، دت، ج ١/٢ ق ٢/ص ٤٢٧. ٤٢٩.
- ٢- المقرئزي، السلوك، ج ١/ ٢ ق ٢/ ص ٣٥٥.
- ٣- المصدر نفسه، ج ١/ ٢ ق ٢/ ص ٤٠٧.
- ١- هو المستنصر احمد بن الظاهر محمد بن الناصر لدين الله العباسي، ينظر عنه أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي(ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، الذيل على الروضتين، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢١٥. ٢١٦؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي(ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي، دت، ج ٥/ ص ٢٩٧.
- ٥- مدينة على الفرات غربي بغداد ويسميتها الفرس فيروز سابور، ينظر الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط ٢، دار صادر بيروت، ١٩٩٥، ج ١/ ص ٢٥٧.
- ٦- أبو شامة، الذيل، ص ٢١٥، ٢١٦؛ اليونيني، موسى بن محمد بن احمد(ت ٧٢٦هـ/١٣٤١م)، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٤. ١٩٥٦، ج ١/ ص ٤٨٥؛ الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، العبر في خير من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٦، ج ٥/ ص ٢٥٨، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ ص ٢٩٧.
- ٧- المقرئزي، السلوك، ج ١/ ٢ ق ٢/ ص ٤٧٦.
- ٨- المصدر نفسه، ج ١/ ٢ ق ٢/ ص ٥٠١.
- ٩- ابن عبد الظاهر، محي الدين(ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)، الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط ٣، الرياض، ١٩٨٩، ص ١٩٤.
- ١٠- هو الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، للمزيد ينظر ابن العبري، غريغوريوس ابن المالطي، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨، ص ٢٨٢ وما بعدها.
- ١١- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي(ت ٦٨٤هـ/١٣٨٥م)، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبادة، د.م، ١٩٧٨، ج ٣/ ص ٣١١؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٨٢ وما بعدها.
- ١٢- الصياد، فواد عبد المعطي، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، دت، ص ٢٨١.
- ١٣- وهو شرف الدين بن سلار صاحب الموصل، العمري، احمد بن يحيى(ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبيصار في ممالك الأمصار، إصدار فواد سزكين، مطبعة شيرلوس، المانيا الاتحادية، ١٩٨٨، ج ٣/ ص ١٢٥.
- ١٤- العمري، مسالك الأبيصار، ج ٣/ ص ١٢٥.

٤- توجه أهل العراق إلى الشام كان إلى حد كبير ذا سمة قومية لأن سر تلك الهجرات كان صوب الأقاليم والمناطق العربية التي كان الذهاب إليها أوفر وأمن وأكثر يسراً^(١). كما كانت تلك الهجرات تتم بعيداً عن أنظار أجهزة الدولة الإليخانية ورقابتها، فالمهاجرين كانوا يعرضون أنفسهم لمخاطر شتى وبخاصة عند اكتشافهم من قبل أجهزة المغول الأمنية بحجة التجسس^(٢). ومع هذا فقد ذهب الأستاذ خصباك^(٣) إلى إن الغزو المغولي قد زاد من ارتباط العراق ببلدان المشرق واطفأ علاقته مع الشام، ولا ندري على أي شيء بنى الأستاذ خصباك ما توصل إليه، لا سيما وأن ما ذكرناه يؤدي عكس ما ذهب إليه فضلاً عن الارتباط الكبير بين المجتمع الشامي والعراقي في أمور كثيرة، ولا بد من التنويه أن هجرة أهل العراق إلى بلاد الشام شملت مختلف شرائح المجتمع من تجار وإداريين وأمراء وعلماء وطلاب علم وغيرهم.

- مراكز الانتقال وأماكن الاستقرار: كانت الهجرة المغولية كبيرة ومؤثرة على فئات الشعب العراقي، ولا سيما من مناطق العراق الشمالية والوسطى، ولهذا كان رد الفعل كبير حيث شكلت مناطق الشمال والوسط أعلى درجة من الانتقال، ويبدو أن مدينة دمشق كانت صاحبة الحظ الأوفر في استقبال الجالية العراقية في بلاد الشام وبليها مدينة حلب، ولا بد من الإشارة أن المصادر التاريخية اهتمت بالنخبة الممتازة من المجتمع من المشهورين والأعلام من العراقيين، وتقدمت مدينة بغداد مدن العراق في عدد النازحين منها كونها من المدن الكبيرة، فضلاً عن كونها العاصمة السياسية للدولة العربية منذ خمسمائة سنة، إلى جانب تعرضها إلى ثقل الهجمة المغولية ولهذا حاول البعض تركها والانتقال إلى دمشق وقرائها المجاورة^(٤). كما ازداد عدد أهل واسط في المدن الشامية ولاسيما دمشق ويبدو أن الخلفية الثقافية للمدينة شاركت في هذا الانتقال فضلاً عن النجاح الذي لقيته الطريقة الرفاعية في المدن الشامية، حيث شيدت عدد من الزوايا الرفاعية، الأمر الذي دفع بعدد من فقرائهم ومريديهم إلى الهجرة، كما كثر عدد المهتمين بالعلوم الدينية^(٥). وتميز أهل تكريت بمهارتهم ونجاحهم في التجارة، حيث ظهرت عدة أسر في هذا المجال، وكانت لهم علاقات بالسلطة نتيجة نجاحاتهم في مشاريعهم التجارية، وأثر ذلك في نيل عدد من أفراد تلك الأسر المناصب الإدارية المهمة، وربما هذا ما دفع الكثير منهم إلى الاستقرار بدمشق وغيرها من مدن الشام^(٦). كما نزح عدد من أهل الموصل بعد الغزو المغولي وكانت دمشق محطتهم المهمة للاستقرار، وتميز بعض النازحين بمهارتهم في صناعة التحف المعدنية وكثرة الأعمال الموجودة تدل على كثرة عددهم في المدينة^(٧). وشاركت مدينة أربل المدن العراقية الأخرى في النزوح إلى مدن الشام ولاسيما وإن عدد من أبنائها المستقرين ببلاد الشام لهم علاقات وصلات مع الأيوبيين إلى جانب تعرض المنطقة المستمر إلى

- ١ - ابن عبد الظاهر، محي الدين (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، د.م، ١٩٦١م، ص ٩٨.
- ٢ - ابن الفوطي، عبد الرزاق بن تاج الدين (ت ٧٢٣هـ/١٣٣٣م)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق د. مصطفى جواد، دمشق، ١٩٦٥م، ج ٤/ق ٤؛ ص ٢٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨/ص ١٤٣.
- ٣ - جعفر حسين، العراق في عهد المغول الإليخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م، ص ١٣٣.
- ٤ - لمتابعة ذلك ينظر تراجم بعض الأعيان في الكتب التالية، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٠٢؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م، ج ٧/ص ١٤٢؛ المكي، التقى الفاسي (ت ٨٣٢هـ)، المنتخب المختار، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، ١٩٣٨م، ص ٩١؛ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن احمد (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٢-١٩٥٣م، ج ٢/ص ٣٦٢.
- ٥ - المعاضيدي، عبد القادر سلمان، واسط في العصر العباسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٢٧ وما بعدها.
- ٦ - ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤/ق ١/ص ١٨٣؛ الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكين سويله، دمشق، ١٩٧٤م، ص ١١٠؛ ابن الجزري، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، حوادث الزمان وأبناءه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، نسخة مصورة عن نسخة المكتبة المركزية بباريس تحت رقم ٦٧٣٩ عربي ويتناول السنوات ٦٨٩-٦٩٩هـ، ورقة ٤٢٤.
- ٧ - Ashtor, E., Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages, London, ١٩٧٦, p. ٢٨٩.

غارات المغول^(١)، وعلى العموم كان نزوح أهل أربل إلى مدن الشام من جهة وإلى مدن العراق الأخرى من ناحية أخرى، وشملت التراجم لهؤلاء مدرسين وأدباء وقضاة^(٢).
ومما ساعد عملية الانتقال بين العراق والشام انتشار القبائل العربية في أطراف الغربية، وأثر ذلك في اختلاط المتنقلين بعرب القبائل الذين يوفرون لهم الأمان والأمور الإدارية الأخرى بحيث أصبحت لهؤلاء القبائل مصدر عيش من خدمتهم لهؤلاء خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري، لاسيما وإن الانتقال كان يتطلب التخفي والحذر من عيون المغول^(٣)، فضلا عن استخدام الحجاج لهذا الطريق بعد أن قطع طريق العراق إلى الحجاز نتيجة فقدان الأمن وقد ذكر العمري ذلك بقوله (فأما العراقي فتأخر لاضطراب ملوك، واضطرار أهله إلى الشقاق، وعادوا إلى العادة الأولى، إنه لا يحجج منهم إلا من جاء من دمشق وحج منها)^(٤) وظل كذلك إلى أن تم الصلح بين المغول والمماليك^(٥). ويبدو أن انعكاس طريق العراق إلى الشام كان له فوائد جمة فقد سهّل وادّام العلاقات بين أهل العراق وأهل الشام، وأثر ذلك في الرحلات العلمية بين الطرفين، وانكسر حاجز الخوف من القدوم إلى العراق نتيجته أوضاعه السياسية واحتلال المغول^(٦) له.

وأخيرا فقد كان هناك اهتمام كبير بالطريق المؤدي إلى الشام، حيث كانت تقدم تسهيلات لأهل العراق ولاسيما وإن السلطات المملوكية كانت تهتم بأهل العراق من جانبيين أحدهما في اختيارهم لأمرأ ممن يتعاطفون معهم نتيجة قضيتهم^(٧) وثانيهما في تميز الوافدين إلى الأراضي الشامية وبين الغرباء عنه^(٨).
ب. المشاركة في التربية والتعليم: كثرت المدارس في بلاد الشام في عصر المماليك وأصبحت تعد مركزا لنشاط فكري وعلمي كبير، وأسهم في ذلك عدد من علماء الجالية العراقية، وتوافد عليها الطلاب والدارسون، ونشطت فيها حركة التأليف ولاسيما في الموضوعات الدينية، فتوجه العلماء نحو العلوم الدينية في المدة التي تحقق بصدورها وعنوا بها وكان أغلب تأليفهم في شرح المتون والتعليق والشروحات والاختصارات. وكانت للرعاية الكبيرة التي لقيته العلوم، أثرها الواضح في جذب الكثير من علماء العراق إلى المشاركة في الحياة الفكرية لبلاد الشام.

١- التأديب في الكتابات: أسهم عدد من أهل العراق في التعليم في الكتابات ومن هؤلاء:
- أبو إسحاق إبراهيم بن المحزومي^(٩): سكن دمشق ومارس تعلم الصبيان وكانت له حلقة عامرة، وهناك الكثير ممن تلقوا علومهم الأولى على يده^(١٠).
- الخيوطي السنجاري: سكن دمشق وكان يؤدب الأطفال في الجامع، ويؤم الناس بالصلاة بجامع الفسقار بدمشق^(١١).

١. تكررت غزوات المغول على المنطقة منذ نهاية العقد الثالث من القرن السابع الهجري، الذهبي. العبر، ج٥/ص ١٣٦؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/٤٠٥ م)، تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر..)، منشورات دار الاعلمي، بيروت، ١٩٧١ م، ج٥/ص ٢٧٥.

٢. ذكر ابن الفوطي في ترجمته لابن المستوفي الأربلي متولي الديوان في أربل أنموذجا للنزوح الى داخل مدن العراق نحو قوله (ثم انتقل الى الموصل لما ورد المغول الى أربل فلم يزل بها الى إن مات)، عبد الرزاق بن تاج الدين (٧٢٣هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق د.مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ، ص ١٣٥.

٣. ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام، ص ٨ وما بعدها؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج٣/ق٤/ص ٢٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج ٨/ص ١٤٣.

٤. مسالك الإبصار، ص ٣٣٠؛ الصقاعي، تالي، ص ١١٢.

٥. للمزيد ينظر العمري، مسلك الإبصار، ص ٣٤٠؛ الحسيني، احمد بن علي بن الحسين الداودي (ت ٨٢٨هـ/٤٢٤ م)، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩١٨ م، ص ١٣٦.

٦. يذكر الذهبي في ترجمته لابن القريرة البزاز البغدادي (ت ٦٩٧هـ)، (كنت اتحسالي الرحلة إليه) أي كان يرغب بالقدوم الى العراق، احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار، تحقيق محمد سيد جار الحق، مطبعة دار التأليف، دم، ١٩٦٩ م، ج٢/ص ٥٥٦، في حين يذكر ابن فهد المكي عن زين الدين العراقي رغبته الشديدة في الرحلة الى العراق، لحظ اللحاظ بنيل طبقات الحفاظ، مطبوع مع كتاب طبقات الحفاظ للذهبي، دم، دبت، ص ٢٢٠ وما بعدها.

٧. ابن الجزري، حوادث الزمان، ورقة ٥٨٢.

٨. ابن قاضي شهبه، تقي الدين أبو بكر احمد (ت ٨٥١هـ/٤٤٧ م)، تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، دمشق، ١٩٧٧ م، ج١/ص ٤٧٩.

٩. المعمر أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الحين علي بن صدقة الحزيمي (٧٠٩هـ)، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦/ص ١٩.

١٠. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥/ص ٣٤٣، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص ٢٤.

- ناصر الدين البصري: كان له حلقة في الجامع يلقن فيها القرآن الكريم فضلا عن إمامته للناس في الجامع، كما مارس التدريس في المدرسة^(٢) الصالحية^(٣).
- أبو الحارث البغدادي: كان له حلقة لتأديب الصبيان^(٤).
- شمس الدين السنجاري: الذي كان يؤدب الصبيان بدمشق^(٥)، وأخذ عنه الكثيرين^(٦).
- أبو عبد الله البغدادي: الذي سكن دمشق وكانت له حلقة لتعليم القرآن الكريم^(٧).
- اليأس الأربلي^(٨): وكانت له شهرة واسعة في العراق، قدم دمشق وصارت له نفس السمعة تصدر قائمة القراء في الجامع الأموي فيها فضلا عن تعليمه للصبيان و كان(عجبا في تعليم الصبي النطق بالحروف الصعبة كالزء، بحيث أن بعض الناس كان يعتقد فيه أن تلك الكرامة له ... وذكروا أنه ختم عليه أربعة آلاف نفس سوى تلقن النصف والرابع..)^(٩).

٢- التدريس في المدارس:

شارك الكثير من أفراد الجالية العراقية في التدريس بمختلف المدارس في بلاد الشام ومن هؤلاء الذين درسوا في مدينة دمشق:
- كمال الدين السنجاري^(١٠): من علماء العراق الذين عملوا في مجال التدريس في المدرسة الخاتونية^(١١) والصادرية في دمشق، ثم عين وزيرا للخليفة المستنصر^(١٢) في مصر (وسافر مع الخليفة إلى بغداد)^(١٣) في محاولة لاسترجاع بغداد واستشهد معه^(١٤).
- أبو بكر البغدادي^(١٥): كان يمارس التدريس في المدرسة العادلية^(١٦).
- جمال الدين الأربلي^(١٧): وكان من ضمن مدرسو دار الحديث الأشرفية^(١٨) في دمشق.
- عز الدين بن سبط بن الجوزي^(١٩): من الشخصيات المميزة فكان فاضلا واعظا سار على نهج أبيه درس بالمدرسة العزبية^(٢٠) بعد وفاة أبيه وظل حتى وفاته^(١).

١. توفي سنة (٧٠٧هـ)، ينظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١/ص٤٧٢.
٢. ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي(ت ٨٥٢هـ/٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، ١٩٦٦م، ج١/ص٢٤١.
٣. كانت المدرسة الصالحية غرب المدرسة الجوهريّة الحنفية والمدرسة الطبية وقبلي المدرسة الشامية الجوانية وتعرف بتربة أم صالح، النعمي، عبد القادر بن محمد(ت٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٤٨م، ج١/ص٣١٦.
٤. أبو الحارث البغدادي الصالحي(ت٧٣٥هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥/ص١٧٩.
٥. شمس الدين السنجاري(ت٧٢٢هـ)، الذهبي، من ذبول العبر، ص١٢٢.
٦. أخذ عنه السبكي وخرج له البرزالي مشيخة، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤/ص٢١٧.
٧. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البغدادي(ت٧٥٩هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣/ص٣٧٦.
٨. اليأس بن علوان الأربلي(ت٦٧٥هـ)، الذي صرا على يد مشايخ العراق قبل قدومه الى بلاد الشام، الذهبي، محمد بن محمد(ت٧٤٨هـ)، المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان، تحقيق عباس المنشادوي، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٧٧.٢٧٨؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت٨٧٤هـ/٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، ١٩٨٦، ج٣/ص٩٧.
٩. الذهبي، المختار، ص٢٧٨.٢٧٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣/ص٩٧.
١٠. كمال الدين أبي القاضي عزيز الدين السنجاري(ت٦٦٠هـ)، الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠/ص٢٦٨.
١١. وهي المدرسة التي وقفها الخاتون أم شمي الملوك أخت الملك دقاق، بدران، عبد القادر، منادة الأطلال، دمشق، ١٩٦٠، ص١٢٧.
١٢. أمير المؤمنين المستنصر بالله احمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس(ت٦٦٠هـ)، المقرئ، السلوك، ج١/ص٥٤٥، طبعة بيروت؛ ابن تغري بردي، ج٧/ص٢٠٦.
١٣. الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠/ص٢٦٨.
١٤. اليونيني، ذيل، ج٢/ص١٠٤؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠/ص٢٦٨.
١٥. أبو بكر البغدادي(ت٦٦٢هـ)، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ج٣٤٦/٥، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦. من مدارس دمشق شمالي الجامع الأموي وشرق الخاقاناه الشهابية، ينظر عنها، النعمي، الدارس، ج١/ص٣٥٩.
١٧. جمال الدين الأربلي(ت٦٦٣هـ)، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٣٤.
١٨. أمر الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل بعمل دار الأمير قايمر داراً للحديث، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥/ص١٧١؛ جيهه، احمد خالد، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام، الموسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص١٠٨.
١٩. عبد العزيز أبو محمد عز الدين(ت٦٦٠هـ)، النعمي، الدارس، ج١/ص٥٥٢.
٢٠. انشأ هذه المدرسة عز الدين أبيك صاحب صرخد سنة٦٣٦هـ، في شمالي ميدان القصر خارج دمشق، النعمي، الدارس، ج١/ص٥٥٢.٥٥٠.

- شمس الدين الشهرزوري^(٢): من رجال العلم الذين تولوا التدريس في المدرسة^(٣) القيمرية^(٤) حيث حصر واقفها أن يكون التدريس فيها لشمس الدين وذريته من بعده^(٥)، فدرس بها ولده صلاح الدين ثم^(٦) ابنه من بعده، وحصر التدريس بهذه المدرسة لشمس الدين وعائلته هي دليل واضح على المكانة العلمية بهذا الرجل.

- مجد الدين الكردي الأربلي^(٧): من العلماء المعروفين، كان عارفا بعلم القراءات (سمع واستمع ودرّس بالكلاسة)^(٨) جوار الجامع الأموي^(٩).

- ابن خلكان الأربلي^(١٠): رجل فاضل تمتع بكفاءة إدارية عالية المستوى، ويظهر ذلك من خلال أشرفه على عدد^(١١) من المدارس في دمشق، وقد اعتمد على عدد من العراقيين في التدريس بهذه المدارس^(١٢).

- شهاب الدين الأربلي^(١٣): مارس التدريس في عدد من المدارس، كما أسند له منصب القضاء في الشام^(١٤).

- مجد الدين أحمد الأربلي^(١٥): الذي اتجه إلى دمشق وسكن فيها واتجه إلى التدريس بمدارسها ومنها المعرفة بتربة الملك الظاهر بيبرس^(١٦).

٣- المشاركة في بناء المدارس: بدأت حركة إنشاء المدارس في عهد نور الدين زنكي ونشطت كثيرا في الشام في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وحلفائه من بعده، وقد اعتمد هؤلاء على أعيان الجالية العراقية الذين كلفوا بمهمة الإشراف والمتابعة، وكان من أبرز الشخصيات العراقية التي أوكلت لهم تلك المهمات شرف الدين ابن عسرون الموصلية^(١٧) وبهاء الدين ابن شداد^(١٨) وغيرهم، وقد استقدم هؤلاء الكثير من الشيوخ والمدرسين من العراق، الذين تخرج على أيديهم مجموعة من العلماء والفقهاء وأئمة المدارس والقضاة وموظفي الدولة. وعمل هؤلاء على خدمة الدولة الزنكية ثم الأيوبية، ثم نقل مختلف

١. النعمي، الدارس، ج ١/ص ٥٥٢.

٢. القاضي شمس الدين علي بن محمود بن علي بن عاصم الشهرزوري، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ص ٢٧٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧/ص ٢٥٧.

٣. انشأ هذه المدرسة الأمير ناصر الدين الحسين بن علي بسوق الحربيين، ووقفها للقاضي شمس الدين الشهرزوري، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ص ٢٧٢؛ النعمي، الدارس، ج ١/ص ٢٣٥؛ بدران، مناداة الأطلال، ص ١٤١.

٤. الصقاعي، تالي، ص ١٠٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ص ٢٧٢.

٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ص ٢٧٢.

٦. مجد الدين أبو محمد عبد الله بن الحسين بن علي الكردي الأربلي (ت ٦٧٧هـ)، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ص ٣٥٨.

٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ص ٣٥٨.

٨. البونيني، ذيل، ج ٣/ص ٣٢١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ص ٣٥٨.

٩. قاضي قضاة الشام ابن خلكان الأربلي، أبو شامة، الذيل، ص ٢١٥.

١٠. أشرف ابن خلكان على عدد من مدارس دمشق منها العذراوية والاقبالية والركنية والنهسية والصادرية والناصرية والفلكية، أبو شامة، الذيل، ص ٢١٥؛ ابن طولون، قضاة الشام، ص ٩٨؛ القلائد الجوهريّة، ج ١/ص ١٢٣.

١١. أبو شامة، ذيل، ص ٢١٥؛ ابن طولون، قضاة الشام، ص ٩٨؛ القلائد الجوهريّة، ج ١/ص ١٢٣.

١٢. قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن المجد الأربلي (ت ٧٣٨هـ)، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩/ص ٣١٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ص ١١٨.

١٣. درس في عدد من المدارس منها الاقبالية والرواحية وتربة أم صالح، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣/ص ٣٧٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤/ص ١٨١؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨/ص ٣٧؛ المقرئ، السلوك، ج ٣/ص ٢٤٩، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩/ص ٣١٤؛ النعمي، الدارس، ج ١/ص ١٦٢، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ص ١١٨.

١٤. مجد الدين احمد بن المجد الأربلي (ت ٧٧٠هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١/ص ١٩٣.

١٥. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١/ص ١٩٣.

١٦. الأسد الضاري الملك الظاهر ركن الدولة أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البنداري الصالحي التركي (ت ٦٧٦هـ)، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ص ٢٣٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧/ص ٩٤.

١٧. الإمام شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عسرون الموصلية (ت ٥٨٥هـ)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣/ص ٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦/ص ١٠٩.

١٨. بهاء الدسن أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عنبة، اشتهر بابن شداد لان شداد جده لأمه، وقد توفي أبيه وهو طفل وتربى عند أخواله بني شداد ولهذا نسب إليهم (ت ٦٣٢هـ)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣/ص ٨٤ وما بعدها.

الأسس والصيغ والمستجدات التي كانت تسير عليها مدارس العراق ولاسيما المدرسة المستنصرية^(١)، حيث قام السلاطين والأعيان ببناء المدارس على صفتها من حيث الدراسة على المذاهب الأربعة والعلوم الأخرى، وربما اخذوا ببناء تلك المدارس على غرارها في التصميم الهندسي وما كانت تحتويه من دواوين وغيرها^(٢). كما نهجت الكثير من المدارس في بلاد الشام على نهج المدرسة المستنصرية في جمع المذاهب الفقهية الأربعة في مدرسة واحدة حيث ساهمت في ترسيخ وحدة البناء الاجتماعي وخرجت نخبة من رجال الدولة، وزادت في تأثير العلماء في المجتمع الإسلامي هذا من جانب، كما شاركت الجالية العراقية في تشييد المراكز الرئيسية لاكتساب العلم وهي المساجد والربط والزوايا والمدارس وأحاطتها بالأوقاف الكثيرة والرعاية الكبيرة، وكانت إلى جانب وظيفتها العلمية كان هناك قسما داخليا لإيواء الطلبة والمدرسين في المدرسة.

٤. أهم المدارس التي شيدها الجالية العراقية في بلاد الشام : - المدرسة البهادرية :

من أبرز مدارس دمشق في المدة التي نحن بصدرها شيدها نجم الدين أبو محمد عبد الله^(٣) البادرائي^(٤) الذي كان (فقيها عالما دينيا صدرا جليل القدر) فضلا عن كونه كان (رسول الخلافة)^(٥) وقاضي بغداد^(٦). وحضر افتتاحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف وسائر أرباب الدولة والقضاة والعلماء^(٧). وسارت المدرسة البهادرية على نهج مدارس العراق ولاسيما المدرسة النظامية فوقها مؤسسها على الشافعية لأنه كان من طلاب المدرسة النظامية ومن شيوخها في التدريس فيما بعد، فضلا عن نظامها وأوقافها وشيوخها وبقية العاملين فهو على نحو المدارس العراقية، لدرجة أن أغلب العاملين فيها كانوا من الجالية العراقية فمن معيديها كمال الدين سلار الأربلي^(٨) وجمال الدين البادرائي^(٩) وعلاء الدين ابن الخراط^(١٠) وأبو الخير البغدادي^(١١)، وكان خازن كتبها الفقهية بهاء الدين البغدادي^(١٢)، في حين أنبسط نظارتها إلى وجيه الدين التكريتي ثم في أسرته فيما بعد^(١٣). وأصبحت المدرسة البهادرية (من أحسن مدارس دمشق لا بل أحسنها على الإطلاق)^(١٤).

١. المستنصرية أول جامعة إسلامية كبرى في بغداد، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة المستنصر بالله منصور بن محمد الظاهر (ت ٦٤٠هـ)، ينظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٣ وما بعدها؛ داود، نبيلة عبد المنعم، التقاليد والأنظمة العلمية في المدرسة المستنصرية، بحث منشور ضمن كتاب ندوة بغداد في التاريخ، منشورات دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠م، ص ٢٥٤ وما بعدها .
٢. ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٥٣ وما بعدها.
٣. العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن البغدادي الشافعي البادرائي (ت ٦٥٥هـ)، المقرئ، السلوك، ج ١/ ص ٤٩٧، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧/ ص ٥٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ ص ٢٦٩.
٤. نسبه يرجع إلى طسوج بالنهروان وهي بليدة بقرب باكسايا من نواحي واسط، الحموي، معجم البلدان، ج ١/ ص ٣١٦.٣١٧.
٥. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ ص ٢٦٩.
٦. كان يقوم بمهمة السفارة للخلافة العباسية للتوسط بين سلاطين وأمراء الشام ومصر لإزالة الخلافات فيما بينهم، الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢٠/ ص ١١٥ .
٧. أبو شامة، الذيل، ص ١٩٨؛ اليونيني، ذيل، ج ١/ ص ١٧٠؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢٠/ ص ١١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ ص ١٩١ .
٨. الكمال سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الأربلي (ت ٦٧٠هـ)، مفتي الشام، ينظر اليونيني، ذيل، ج ٢/ ص ٢٧٨؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢٠/ ص ٤٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣/ ص ٢٦٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥/ ص ٣٣٢.٣٣١؛ النعمي، الدارس، ج ١/ ص ٢٠٧.
٩. الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن نجم الدين بن عبد الله بن محمد بن الحسن البادرائي (ت ٦٧١هـ)، اليونيني، ذيل، ج ٣/ ص ٣٠٦؛ الصقاعي، تالي، ص ١٠٨؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢١/ ص ١٨٣، النعمي، الدارس، ج ١/ ص ٢٠٧.
١٠. علاء الدين بن عثمان بن الخراط (ت ٧٣٩هـ)، وكان معيد بالمدرسة البهادرية، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦/ ص ١٢٢؛ النعمي، الدارس، ج ١/ ص ٢١٥.
١١. أبو الخير البغدادي (ت ٧٤٢هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣/ ص ٣١٦.
١٢. الفقيه بهاء الدين البغدادي (ت ٦٩٢هـ)، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الحريري، ص ٣٥٩.
١٣. شمسانس، حسن، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، منشورات دار الأفاق الجديدة، دت، ص ٢٥١؛ رضا، محمد سعيد رضا، المدرسة البهادرية بدمشق، مجلة كلية الآداب، العدد/ ١٩، جامعة البصرة، دت، ص ٧١ وما بعدها.
١٤. الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢٠/ ص ١١٦.

- دار الحديث النبوي: (السامرية): أوقف هذه المدرسة الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس البغدادي^(١) السامري^(٢) الذي سكن دمشق ووقف داره لتكون داراً للحديث^(٣). وكان سيف الدين من أصحاب الأموال^(٤). وموقع المدرسة مقابل سوق البزورية من جهة الشرق^(٥).
- دار القرآن السنجارية: وقف هذا الدار علاء الدين علي بن إسماعيل السنجاري^(٦) والتي تقع تجاه باب الجامع الشمالي المسمى النطاين^(٧)، ورتب وهياً جماعة يقرؤون القرآن ويتلقونه، وله مواعيد حديث فيها^(٨).
- المدرسة السلامية: شيدها الخواجا عز الدين حسين^(٩) السلامي^(١٠)، بدري الريحان بدمشق بعد مجيئه من بغداد، وجعلها داراً للقرآن، وكان من كبار الأموال^(١١).
- المدرسة الطرخانية: وقفها سنقر الموصلية وجعلها مدرسة لأصحاب أبي حنيفة بدمشق^(١٢) وكانت قبلي المدرسة البادرانية^(١٣) وكان محلها يعرف بدار طرخان^(١٤).
- المدرسة البزورية: شيدها أبو بكر محفوظ البغدادي المعروف بابن البزوري^(١٥) بسفح قاسيون فوق سوق القطن، واحتوت هذه التربة على مكتبة كبيرة فيها أنواع الكتب^(١٦).
- التربة التكريتية: وتقع بسوق الصالحية على سفح قاسيون، شيد تقي الدين توبة التكريتي^(١٧)، وتعد من أجمل المباني في مدينة دمشق وفي داخلها غرفة مزخرفة بالجص، وهي تشبه في شكلها طراز المباني الشائعة في مدن العراق ومنها مدينة تكريت^(١٨).
- الربط^(١٩) التكريتي: شيده التاجر الكبير وجيه الدين محمد التكريتي^(٢٠) وكانت له حضوة عند الحكام^(٢١)، ولاسيما عبد الملك الظاهر بيبرس كان يجله ويكرمه لأنه قد أسدى إليه جميلاً في حال أمرته

١. سيف الدين أبو العباس احمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي (ت ٦٩٦هـ)، النعمي، الدارس، ج ١/ص ٥٥٥٤؛ جده، المدارس، ص ١١١.
٢. نسبة الى مدينة سامراء وهي بلدة بين بغداد وتكريت، الحموي، معجم البلدان، ج ٣/ص ١٧٣ وما بعدها.
٣. الصقاعي، تالي، ص ٢٨٢٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٨/ص ٦٦، النعمي، الدارس، ج ١/ص ٧٢؛ علي، محمد كرد، خطط الشام، مطبعة التراقي، دمشق، ١٩٢٧، ج ٥/ص ٧٤.
٤. جده، مدارس، ص ١١١.
٥. بدران، مناداة الأطلال، ص ٤٤.
٦. علاء الدين علي بن إسماعيل بن محمود السنجاري (ت ٧٣٥هـ)، أبو الفداء، المختصر، ج ٢/ص ٤٧٠؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢/ص ٣٠٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤/ص ١٧١؛ النعمي، الدارس، ج ١/ص ١٢.
٧. . . النعمي، الدارس، ج ١/ص ١١ وما بعدها.
٨. أبو الفداء، المختصر، ج ٢/ص ٤٧٠؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢/ص ٣٠٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤/ص ١٧١؛ جده، مدارس، ص ١٠٦.
٩. الخواجا عز الدين حسين بن داود بن عبد السيد بن علوان السلامي التاجر، المقريزي، السلوك، ج ٤/ص ٢٥٩، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. لقب بالسلامي نسبة الى مدينة السلام بغداد، الحموي، معجم البلدان، ج ٢/ص ٤٠٥.
١١. المقريزي، السلوك، ج ٤/ص ٢٥٩، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢/ص ١٤١.
١٢. النعمي، الدارس، ج ١/ص ٥٢٩ وكذلك ج ٢/ص ٣٣٠.
١٣. بدران، مناداة الأطلال، ص ١٧٩.
١٤. النعمي، الدارس، ج ١/ص ٤١٥.
١٥. أبو بكر بن معتوق التاجر البغدادي المعروف بابن البزورية (ت ٦٩٤هـ)، ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤/ق ١/ص ٢٨٦؛ الذهبي، العبر، ج ٥/ص ٣٨٣؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢/ص ٥٧٣؛ ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ج ١/ص ١٣.
١٦. ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤/ق ١/ص ٢٨٦؛ الذهبي، العبر، ج ٥/ص ٣٨٣؛ ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ج ١/ص ١٣.
١٧. التكريتي نسبة الى بلدة تكريت وهي بلد مشهورة بين بغداد والموصل، الحموي، معجم البلدان، ج ٢/ص ١٢٠.
١٨. الصقاعي، تالي، ص ٦٠؛ الذهبي، العبر، ج ٥/ص ٣٨٧.
١٩. الرباط هو (بيت للصوفية ومقر لهم ولكل قوم دار والرباط دارهم، المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، الخطط المقريزي، مطبعة النيل، القاهرة، ١٣٤٤هـ، ج ٤/ص ٢٩٢.
٢٠. وجيه الدين بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي، النعمي، الدارس، ج ٢/ص ١٥٠.
٢١. كانت له علاقات واسعة مع رجال السياسة، وكانت ترد اليه كتب الخليفة في أوقات، وكانت كتاباته مقبولة عند الملوك حتى ملوك الإفرنج، النعمي، الدارس، ج ١/ص ١٥١؛ جده، مدارس، ص ١٢٧.

قبل أن يلي السلطنة..^(١) ودفن في رباطه الذي يقع في بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون، وكان من أهل البر والتقوى^(٢).

- رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل^(٣).

أما مدارس بلاد الشام الأخرى:

- المدرسة الهكارية: أوقفها الأمير شرف الدين الهكاري بمدينة القدس وجعلها داراً للحديث النبوي^(٤).
- المدرسة الخاتونية: أوقفت هذه المدرسة اغل خاتون بنت شمس الدين بن سيف الدين البغدادية سنة ٧٥٥هـ، وهي من باب البر والتقوى، ولإدامة فتح المدرسة فقد أوقفت لها المزرعة المعروفة بظهر الحمل في مدينة القدس^(٥)، وهي بباب الحديد جوار الحرم، ثم أكملت عمارتها فيما بعد وجعلت قبر السيدة خاتون القازانية^(٦).

- المدرسة السلامية: أوقفها سراج الدين عمر بن ابن القاسم السلامي، وجعلها دار للقرآن ولهذا تعرف بمدرسة دار القرآن السلامية^(٧). وهناك مدرسة أخرى تحمل نفس الاسم، وهي أيضاً دار للقرآن وقفها الخواجا مجد الدين أبو الفداء إسماعيل السلامي، والظاهر أنها أوقفت بعد السبعمئة^(٨).

- زاوية المجرى البغدادي: شيدها المجرى البغدادي ببلدة الخليل وكانت في غاية الحسن والجمال وكانت داراً للقرآن الكريم، كما ضمت الزاوية بعض الغرف التي خصصت لمبيت الطلبة^(٩).

- المدرسة الموصلية: نسبة إلى أبي بكر الموصلية^(١٠) وتقع بباب شرف الأنبياء بجوار المسجد الأقصى^(١١)، وظلت هذه المدرسة تمارس نشاطها لمدة طويلة^(١٢).

النتائج

توصل البحث إلى النتائج التالية:

- اتسع حضور أهل العراق خلال العصر العباسي الاخير مع ازدياد الغزو المغولي، وقد ازداد وبشكل كبير قبيل الغزو المغولي بحيث أصبح يشكل ظاهرة بارزة لاسيما وان أهل العراق رفضوا الخضوع للمحتل المغولي، ولهذا أصاب العراق خراب اقتصادي واجتماعي.

- ظاهرة الانتقال إلى بلاد الشام لم تكن مقترنة بحالة الغزو المغولي فحسب بل استمرت طيلة حكم المغول وما بعدها وشملت مختلف شرائح المجتمع.

- تركزت مراكز الانتقال في مناطق الشمال والوسط وذلك بسبب ثقل الهجمة المغولية على هذه المناطق، وكانت مدينة بغداد قد سجلت أعلى هجرة لأهل العراق من المدن العراقية الأخرى.

١ . النعمي، الدارس، ج ١/ص ١٥١؛ جده، مدارس، ص ١٢٦.١٢٧.

٢ . النعمي، الدارس، ج ١/ص ١٥٠.١٥١.

٣ . النعمي، الدارس، ج ١/ص ١٥٢.١٥١؛ جده، مدارس، ص ١٢٨.

٤ . علي، خطط الشام، ج ٥/ص ١٢٠.

٥ . أكملت عمارتها فيما بعد أصفهان شاه بنت قازان سنة ٧٨٢هـ، وقد وقفت عليها الكثير، جده، مدارس، ص ١٦١.

٦ . أوقفت هذه المدرسة سنة ٥٦١هـ، العلمي، الإنس الجليل، ج ٢/ص ٤٥؛ علي، خطط الشام، ج ٥/ص ١٢٤؛ جده، مدارس، ص ١٦٦.

٧ . العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٦١م، ص ٢٣٤؛ جده، مدارس، ص ١٦٤.

٨ . الزاوية هي مكان اصغر من الربط والخانقات، وهي ركن الدار ثم أصبحت تطلق على الصغيرة التي لا تسمح إلا للأشخاص قليلي العدد منقطعين لعبادة الله تعالى، ويقام فيها الأذكار، وقد كثرت بكثرة الطرق والمشايخ، وكان لكل زاوية شيخها المسؤول عنها، وكان له الحق في تحديد الإعداد التي تسمح لها بالاقامة الدائمة، كما كان له الحق في جعل إقامة بعضهم مؤقتة، السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النعم، تحقيق وتعليق محمد علي النجار وآخرون دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٢٦؛ عبد الدايم، عبد الله، التربية عبر التاريخ في العصور القديمة حتى القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٦١؛ احمد، احمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص ١٢٥.

٩ . ابن حجر، أنباء الغمر، ج ١/٤٦٢؛ العلمي، الأنس الخليل، ج ٢/ص ١٣٢.

١٠ . أبي بكر الشيباني الموصلية المتوفى في أواخر القرن الثامن الهجري على الأغلب، نجم، رائق يوسف وآخرون، كنوز القدس، ميلانو، إيطاليا، ١٩٨٣م، ص ٤٢٣.

١١ . العارف، المفصل، ٢٤٣.

١٢ . يذكر العارف تفاصيل عن هذه المدرسة وان احد مدرسيها كان السيد جار اللطفي كان يتقاضى راتباً قدره عشر عثمانيات، المفصل، ص ٢٤٣، ويبدو إن مقدار الراتب هذا كان في الفترات اللاحقة..

- تمتعت بلاد الشام بهدوء بعد انتصار المماليك بمعركة عين جالوت حيث توحدت كل من بلاد الشام ومصر تحت حكمهم وأدى ذلك الاستقرار في جذب أهل العراق إلى الشام.
- صارت بلاد الشام منطقة استقبال لأهل العراق ومكان عمل بعد انتشار البطالة في فئة المتعلمين بسبب الأضرار التي لحقت بالمؤسسات التعليمية، فقد أحرقت المكتبات وقضي على الآثار الإسلامية.
- تردي الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية طيلة السيطرة المغولية أدى إلى استمرار هجرة أهل العراق إلى بلاد الشام في ظل الإضرار التي خلفها الغزو.
- توجه أهل العراق إلى بلاد الشام كان ذا سمة قومية لان تحرك الجماعات صوب الأقاليم والمناطق العربية.
- شارك الكثير من أهل العراق في بناء مدارس خاصة بهم، في حين مارس كثير منهم التدريس في تلك المدارس أو مدراس الشام الأخرى، وتفوق قسم منهم وصارت له المشيخة والزعامة.
- كان إنشاء المدرسة الجديدة في العصر المملوكي حدث مهم، وهذا يتجسد في الاحتفال الذي يقام بهذه المناسبة وقيمة ما يحضره من الحاكم والأمراء وكبار موظفي الدولة وكان الفقهاء والقضاة والأعيان يحيطون بهم في صحن المدرسة.
- كانت للمدرسة أوقاف كثيرة لإدامة العمل بها حيث توفر تلك الأوقاف الكثير من الموارد لمواصلة عمل المدرسة وأداء رسالتها في المجتمع.
- كان التيار الفكري العلمي أقوى من التيار المذهبي، بمعنى إن الرغبة في تحصيل العلم والمعرفة كثيرا ما كانت تجرف في طريقها النزعات والاتجاهات المذهبية.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين محمد بن عبد الكريم (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .
١. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
احمد، احمد رمضان
٢. المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، الإسكندرية، ١٩٧٧م.
بدران، عبد القادر
٣. مناداة الأطلال، دمشق، ١٩٦٠.
ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
٤. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، ١٩٨٦.
٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.
ابن الجزري، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨)،
٦. حوادث الزمان وأبناءه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، نسخة مصورة عن نسخة المكتبة المركزية بباريس تحت رقم ٦٧٣٩ عربي ويتناول السنوات ٦٨٩-٦٩٩هـ.
جيده، احمد خالد
٧. المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١.
ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)
٨. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، ١٩٦٦م.
الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
٩. معجم البلدان، ط ٢، دار صادر بيروت، ١٩٩٥.
الحسيني، احمد بن علي بن الحسين الداودي (ت ٨٢٨هـ/١٤٢٤م)
١٠. عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩١٨م.
ابن خلكان، احمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
١١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
١٢. تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر..)، منشورات دار الاعلمي، بيروت، ١٩٧١م.
خصباك، جعفر حسين

١٣. العراق في عهد المغول الاليخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م.
داود، نبيلة عبد المنعم
١٤. التقاليد والأنظمة العلمية في المدرسة المستنصرية، بحث منشور ضمن كتاب ندوة بغداد في التاريخ، منشورات دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠م،
الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
١٥. العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٦م
١٦. من ذبول العبر، الكويت، دت. معرفة القراء الكبار، تحقيق محمد سيد مطبعة دار التأليف، د.م، ١٩٦٩م.
١٧. المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان، تحقيق عباس المنشداوي، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٧٧-٢٧٨؛
- رضا، محمد سعيد رضا
١٨. المدرسة البادرائية بدمشق، مجلة كلية الآداب، العدد/١٩، جامعة البصرة، دت.
السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (٧٧١هـ/١٣٦٩م)
١٩. معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق وتعليق محمد علي النجار وآخرون دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢٠. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطحاني وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٧١م
- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي (٦٨٤هـ/١٣٨٥م)
٢١. الاغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبادة، د.م، ١٩٧٨م.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٦٦٥هـ/١٢٦٦م)
٢٢. الذيل على الروضتين، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، وكذلك طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
٢٣. الوافي بالوفيات، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)
٢٤. تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكولين سويله، دمشق، ١٩٧٤م.
الصيدا، فواد عبد المعطي
٢٥. المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، دت.
ابن طولون، محمد بن علي (٩٥٣هـ/١٥٤٦م)
٢٦. القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، تحقيق محمد احمد دهمان، د.م، ١٩٤٩م.
٢٧. قضاة الشام (الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام)، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٦٦م.
- ابن العبري، غريغوريوس ابو الفرج بن هارون المالطي (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)
٢٨. تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.
ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
٢٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي، دت.
ابن عبد الظاهر، محي الدين (٦٩٢هـ/١٢٩٣م)
٣٠. الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط٣، الرياض، ١٩٨٩م.
٣١. تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، د.م، ١٩٦١م
العلمي، مجير الدين الحنبلي (٩٢٨هـ/١٥٢١م)
٣٢. الإنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٨م.
العمرى، احمد بن يحيى (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
٣٣. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إصدار فواد سزكين، مطبعة شيراوس، المانيا الاتحادية، ١٩٨٨م.
- العارف، عارف

٣٤. المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٦١م،
عبد الدايم، عبد الله
٣٥. التربية عبر التاريخ في العصور القديمة حتى القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت،
١٩٧٨م.
علي، محمد كرد
٣٦. خطط الشام، مطبعة التراقي، دمشق، ١٩٢٧.
ابن الفوطي، عبد الرزاق بن تاج الدين (ت ٧٢٣هـ/١٣٣٣م)
٣٧. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق د. مصطفى جواد، دمشق، ١٩٦٥م.
٣٨. الحوادث الجامعة والنجارب النافعة، تحقيق د. مصطفى جواد، مطبعة الفرات،
بغداد، ١٣٥١هـ.
ابن فهد المكي،
٣٩. لحظ اللحاظ بذييل طبقات الحفاظ، مطبوع مع كتاب طبقات الحفاظ للذهبي، د.م، د.ت.
أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت ٣٢٣هـ/١٣٣١م)
٤٠. المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د.ت،
ابن قاضي شهبه، تقي الدين أبو بكر احمد (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)
٤١. تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، دمشق، ١٩٧٧م.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ/١٢٧٢م)
٤٢. البداية والنهاية، بيروت، ١٩٦٦م.
الكتبي، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)
٤٣. عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٨٠م.
المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
٤٤. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، د.ت، وكذلك طبعة دار
الكتب العلمية، بيروت.
٤٥. الخطط المقريزي، مطبعة النيل، القاهرة، ١٣٤٤هـ.
المكي، التقي الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)
٤٦. المنتخب المختار، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، ١٩٣٨م
المعاضدي، عبد القادر سلمان
٤٧. واسط في العصر العباسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣
النعمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م)
٤٨. الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٤٨م.
نجم، رائق يوسف وآخرون
٤٩. كنوز القدس، ميلانو، إيطاليا، ١٩٨٣م.
ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)
٥٠. تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م
اليونيني، موسى بن محمد بن احمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٤١م)
٥١. ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٤-١٩٥٦م.
- Ashtor, E., Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages,
London, 1976.
- Contu, C., Histoire Universelle Traduite par Gene Aroux, Troisieme
zileme_Douzieme, paris.